

الشعوبية

يقوى تفاخر اهل كل عنصر بعنصرهم واهل كل جنس بجنسهم كلما كانوا اقرب الى
الهمجية والعصبية الجاهلية . جاء الاسلام فكان من اعظم اصلاحه اسقاط دعوى
الجنسيات والتفضاء على التفاخر بالآباء والاجداد فساوى بين العربي والفارسي
والاحمر والاصفر والايض والاسود وكانت قاعدته العامة لا فضل لعربي على عجمي
الا بالتقوى

والظاهر ان دعوى الشعوبية اي عدم الاعتماد بالعرب وتفضيل العجم عليهم
دخلت بدخول اجيال كثيرة من الفرس والترك والنبط في خدمة الدولة الاسلامية
فنشأت منها العداوات بين العرب اهل الدولة وبين العجم كما كانت تنشأ في هذه
البلاد بين تركي وعربي كما اشدت الاول في ارهاق الثاني

سألنا استاذنا الشيخ طاهر الجزائري عن الشعوبية فكتب الينا ما يأتي :
« اما الزمن الذي ظهرت فيه الشعوبية فلا يحضرني فيه شيء . والوقوف على اوائل
الاشياء من اصعب المسائل وادقها الا ان الذي ظهر لي ان ذلك حدث بعيد عصر
الخلفاء الراشدين لوجود الداعي الى ذلك وهو التفاخر بالجنس الذي هو من عادات
الجاهلية التي اتى الدين بابطالها . ومن نظر لمنزلة ستمات الفارسي وصهيب الرومي
وبلال الحبشي في اوائل الامة زال عنه الشك في هذه المسألة ولا يدخل في هذا
الامر بحث المؤرخ عن خصائص الاجناس مما يقصده الوقوف على الحقائق فان
هذا نوع آخر الا ان من بحث عن احوال الامم ووفى النظر حقه تبين له ان العرب
في الجملة لا تسامهم امة البتة

« واظن انه لا بد ان تولى بعد حين كتب في خصائص الامم وكتب في
خصائص البلاد كما ألقت كتب في خصائص اللغات وتجعل من الفنون التي يعنى بها
وتميز عن غيرها ولا نذكر بطريق العرض الا ان فن خصائص الامم تيسر المشاغبة
فيه والمغالطة اكثر من غيره الا ان كل فن وضعت مقدماته ونقحت مسأله يبدو
بسرعة عوار المغالط فيه . هذا وكما حدث بعد عصر الخلفاء امر المفاضلة بين العرب
والعجم حدث امر المفاضلة بين العدنانية والتعيطانية وهما الفريقان اللذان يجمعهما
اسم العرب ونشأ بسبب ذلك من الفتن ما يعرفه المولع بالاخبار ولم يزل اثر ذلك باقياً

في بعض الجهات الى ما قبل عصرنا وقد رأيت في بعض البلاد اناساً يقولون الى الآن نحن قيسية وآخريين يقولون نحن يمانية .»

هذا ما قاله استاذنا وفيه من كشف الغامض ما لم نظفر به في كتاب .
والشعوبي بالضم محتقر امر العرب قال ابن منظور وقد غلبت الشعوب بلفظ الجمع على جيل العجم حتى قيل لمحتقر امر العرب شعوبي اضافوا الى الجمع لغلبته على الجيل الواحد كقولهم انصاري وهم الشعوية وهم فرقة لا تفضل العرب على العجم ولا ترى لهم فضلاً على غيرهم واما الذي في حديث مسروق ان رجلاً من الشعوب اسلم فكانت تؤخذ منه الجزية فامر عمر ان لا تؤخذ منه قال ابن الاثير الشعوب ههنا العجم ووجهه ان الشعب ما تشعب من قبائل العرب او العجم فنقص باحدهما ويجوز ان يكون جمع الشعوبي كقولهم اليهود والمجوس في جمع اليهودي والمجوسي

قال شارح المفصل في شرح قول الزمخشري « الله احمد على ان جعلني من علماء العربية وجعلني على الغضب للعرب وللعصبية واني لي ان انفرد عن صميم انصارهم وامتاز وانفوي الى لقيف الشعوية وانجاز » والشعوية مصدر الشعوبي بضم الشين وهو الذي يصغر شأن العرب ولا يرى لهم على العجم فضلاً اذ الفضل بالقوى وهو منسوب الى قوله تعالى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم . وقال ابن الحاجب في شرح المفصل ايضاً (١) والشعوية بضم الشين قوم متعصبون على العرب مفضلون عليهم العجم وان كان الشعوب جيل العجم الا انه غلبت النسبة اليه لهذا القبيل ويقال ان منهم معمر بن المثنى وله كتاب في مثالب العرب وقد انشد بعض الشعوية للصاحب بن عباد يمدحه

غنيما بالطبول عن الطلول	وعن عنس عذافرة ذمول
فلست بتارك ايوان كسرى	لتوضح اول حومل فالدخول
وضب بالفلا ساع وذئب	بها يعوي وليث وسط غيل
اذا نحرخوا فذلك يوم عيد	وان ذبحخوا ففي عرس جليل
يسلان السيوف لرأس ضب	هراشاً بالغداة وبالاصيل
باية رتبة قدموها	على ذي الاصل والشرف الاصيل

(١) هو من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق .

اما لو لم يكن للفرس الا
لكان لهم بذلك خير عز
فقال له صاحب قديك ثم قال لبديع الزمان اجبه فاجابه مرتجلا

اراك على شفا خطر مهول
مطلبتي على مكارمنا دليلا
السنا الضاربين جزى عليكم
مضى قرقع المنابر فارسي
مضى علق وتنت بها زعيم
على قحطان والبيت الاصيل
وذلك نحر ربات الهجول
ونفخرهن سيف خد اسيل
ومررع من مفارقة رسيل

فقال صاحب للشعوي : كيف ترى فقال : لو سمعت ما صدقت ثم قال له :

جائزتك جوازك ان وجدتك بعدها في مملكتي ضربت عنقك

وفد النعمان بن المنذر على كسرى (١) فوجد عنده وفود الروم والهند والصين
فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى
فارسا ولا غيرهم فقال كسرى واخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت في امر العرب
وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من ظلم وجعل يثني عليهم ورأيت الهند
التي لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك في الترك والخرز والصين متى ذكر قبيلة اثني عليها
ووصف ما يفتخرون به ثم قال ولم ار للعرب شيئا من خصال الخير وجعل يصف شأنهم
وهو يحقرهم ويصغرهم فقال النعمان : اسلم الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال : الا ان
عندي جوابا في كل ما نطق به الملك سيف غير رد عليه ولا تكذيب له فان آمنتني من
غضبه نطقت به قال كسرى فانت آمن فقال النعمان اما امثلك ايها الملك فليست تنازع
في الفضل لموضعها الذي هي به سيف عقولها واحلامها وبسطة محلها وبجوحة عزها وما
اكرمها الله به من ولاية آياتك ولولايتك واما الامم التي ذكرت فاي امة تقرنها بالعرب
الا فضلتها قال كسرى : بما ذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوها

ودينها وبأسها وسخاؤها وحكمة السنها وشدة عقولها وانفتها ووفائها فلما عزاها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيولهم مهادم الارض وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزاها الحجارة والطين وجزائر البحور

واما حسن وجوها والوانها فقد تعرف فضلم في ذلك على غيرهم من الهند المتفرقة والصين المختمة والترك المشوكة والروم المقشوة واما احسابها واسايبها فليست امة من الامم الا وقد جهت آباءها واصولها وكثيراً من اولها وآخرها حتى ان احدهم يسأل عما وراء ابيه دنيا فلا ينسبه ولا يعرفه وليس احد من العرب الا يسمى آباءه آباءاً حفظوا بذلك احسابهم وضبطوا به اسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى الى غير ابيه واما سخاؤها فان ادناهم رجلاً الذي يكون عنده البكرة او الناب عليها بلاغة في حملته وشبعه وريه فيطرقة الطارق الذي يكتب في القلدة ويحزى بالشربة فيعقرها له ويرضى ان يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الثناء

واما حكمة السننها فان الله اعطاهم في اشعارهم وروني كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم في الصفات ما ليس لشيء من السنة الاجناس ثم خيلهم افضل الخيول ونساؤهم اعف النساء ولباسهم افضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة والحجارة جبالهم الجزع ومطايهم التي لا يبعد عن مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر

واما دينها وشريعته فانهم متمسكون بها حتى يبلغ احدهم من تمسكه بدينه ان لم اشهر حرمًا وبلدًا حرامًا وبيتًا محجوجًا ينسكون فيه مناسكهم ويزبحون ذبائحهم فيلقى الرجل قاتل ابيه او اخيه وهو قادر على اخذ ثاره وادراك دمه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالاذى واما وفاءها فان احدهم يلحظ اللحظة ويومي الايام فهي الب وعقد لا يملها الا خروج نفسه وان احدهم ليرفع عددًا من الارض فيكون رهناً بدينه فلا يلقى رهنه ولا تحفر ذمته وان احدهم ليبلغه ان رجلاً استجار به وعسى ان يكون نائياً عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفي تلك القبيلة التي اصابته او تفي

قيلته لما اخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المهرب من غير معرفة ولا قرابة تشكون انفسهم دون نفسه واموالهم دون ماله واما قولك ايها الملك انهم يشدون اولادهم من الحاجة فانما يفعلونه من ينفعهم الاناث انفة من المار وغيره من الازواج واما تحاربهم واكل بعضهم بعضاً وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعل من الام اذا آتت من نفسها ضعفاً وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون سيفه المملكة العظيمة اهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم امورهم وينقادون اليهم بازمتههم

فاما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا ان يكونوا ملوكاً اجمعين مع انتفتهم من اداء الخراج والوطء والعنف فعجب كسرى مما اجابه النعمان به وقال : انك لاهل موضعك من الرياسة في اقليمك ولما هو افضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من قنطيس العرب وتهيج من امرهم بعث الى اكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة وجباة من رؤوس العرب سمام فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم : قد عرفتم حال هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة تخوف ان يكون لها غدر واقتص عليه مقالة كسرى وما رد عليه فقالوا : وفقك الله ايها الملك ما احسن ما ردت عليه وابلغ ما حبيته به فمرنا بامرك وادعنا الى ماشئت قال : النعمان انما انا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء احب اليّ مما سدد الله به امركم واصلح به شأنكم والرأي ان تسدوا بجائتكم ايها الرهط وتطلقوا بكتابي هذا الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن او حدثته به نفسه ووصامه يوصايا فذهبوا اليه وقد ساق القصة صاحب العقدة واوردها ابو الحجاج يوسف بن محمد البلوي في كتاب الف با

ومن حجة (١) الشعوية على العرب ان قالت انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من ائمة واحدة وسلالة رجل واحد واحتججنا بقول النبي عليه الصلاة والسلام : المؤمنون اخوة تشكافوا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله في حجة الوداع وهي خطبته التي ودع فيها امته وختم نبوته : ايها الناس

(١) العقدة الفرزدق الجزء الثاني ص ٧٠

ان الله اذهب عنكم نخوة الجاهلية ونورها بالآباء كلكم لآدم وادم من تراب ليس لعربي على سحجي فضل الا بالتقوى . وهذا القول من النبي عليه الصلاة والسلام موافق لقول الله تعالى (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) فابيتم الاغترأ وقلتم لا تساويننا وان تقدمنا الى الاسلام ثم صليت حتى تصير كالحني وصمت حتى تصير كالوتار ونحن نسابحكم ونجيبكم الى الفخر بالآباء الذي نهاكم عنه نبيكم صلى الله عليه وسلم اذ ابيتم الا خلافه وانما نجيبكم الى ذلك لاتباع حديثه وما امر به صلى الله عليه وسلم فنرد عليكم حجتكم في المخاخرة ونقول : اخبرونا ان قالت لكم العجم هل تعدون الفخر كله ان يكون ملكاً او نبوة فان زعمتم انه ملك قالت لكم : وان لنا ملوك الارض كلها من الفراعنة والباردة والعائلة والاكاسرة والقيصرية وهل ينبغي لاحد ان يكون له مثل ملك سليمان الذي سخرت له الانس والجن والطير والريح وانما هو رجل منا ام هل كان لاحد مثل ملك الاسكندر الذي ملك الارض كلها وبلغ مطلع الشمس ومغربها وبني ردماً من حديد ساوى به بين الصدفين وسجن وراه خلقاً من الناس تربى على خلق الارض كلها كثرة لقول الله عز وجل (حتى اذا فطحت يا جوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون) فليس شيء ادل على كثرة عددهم من هذا او ليس لاحد من ولد آدم مثل آثاره في الارض ولو لم يكن له الا منارة الاسكندرية التي اسسها سيف قعر البحر وجعل في رأسها امرأة يظهر البحر كله في زجاجتها وكيف ومن ملوك الهند الذين كتب احدهم الى عمر بن عبدالعزيز : من ملك الاملاك الذي هو ابن الف ملك والذي تحته بنت الف ملك والذي في مربطه الف فيل والذي له نهرا من نهرا من العود والفوة والجوز والكافور والذي يوجد ريح على اثني عشر ميلاً الى ملك العرب الذي لا يشرك بالله شيئاً اما بعد فاني اردت ان تبعث الي رجل اعلمني الاسلام و يوقني على حدوده والسلام . وان زعمتم انه لا يكون الفخر الا بنبوة فان منا الانبياء والمرسلين قاطبة من لدن آدم ما خلا اربعة هوداً وصالحاً واسماعيل ومحمداً ومنا المصطفون من العالمين آدم ونوح وهما العنصران اللذان نفع منهما البشر فجن الاصل وانتم الفرع وانما انتم غصن من اغصاننا فقولوا بعد هذا ما شئتم وادعوا

ولم تزل الامم كلها من الاعاجم في كل شئ من الارض ملوك تجتمعها ومدائن تقيمها واحكام تدين بها وفلسفة تتبجحها وبدائع تفتن في الادوات والصناعات مثل صنعة

الديباج وهي ابداع صنعة ولعب الشطرنج وهي اشرف لعبة ورمانة القبان التي يوزن بها
 رطل واحد ومائة رطل ومثل فلسفة الروم في ذات الخلق والقانون والاسطراب
 الذي يعدل به النجوم ويدرك به علم الابعاد ودوران الافلاك وعلم الكسوف لم يكن
 للعرب ملك يجمع سوادها ويضم قواصمها ويتمتع ظلمها وينهى سفهها ولا كان لها
 قط نتيجة في صناعة ولا اثر في فلسفة الا ما كان من الشعر وقد شاركها فيه العجم
 وذلك ان للروم اشعاراً عجيبة قائمة الوزن والعروض فما الذي تفخر به العرب على العجم
 فانما هي كالثياب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض
 فرجلها موثوقون في حلق الاسر ونساؤها سبايا مردفات على حقائب الابل فاذا
 ادركهن الصربخ استنقذن بالعشي . قال يبيح يعبر العرب باختلافها في النسب
 واستلحاقها للادعياء

زعتم بن الهند اولاد خندف وبينكم قرني وبين البرابر
 ودليم من نسل ابن ضبة ناسل ويرجان من اولاد عمرو بن عامر
 فقد صار كل الناس اولاد واحد وصاروا سواء في اصول العناصر
 بنو الاصفر الاملاك اكرم منكم واولى بقرنا ملوك الاكامر
 انطمع في صهري دعيا مجاهرا ولم تر سترًا من دعي مجاهر
 وتستم لوئما رهطه وقبيله وتمدح جهلا طاهرا وابن طاهر
 وقال الحسن بن هاني على مذهب الشعوبية :

وجاورت قوماً ليس بيني وبينهم اواصر الا دعوة و بطون
 اذا مادنا باسمي العريف اجبته الى دعوة مما عليّ يهون
 لازد عمات بن المقلب نزوة اذا افتخر الاقوام ثم نلين
 وبكر يرى ان النبوة انزلت على مسمع في البطن وهو جنين
 وقالت تميم لا نركب ان واحداً كاحنفا حتى المات يكون
 فلا ملت قبساً بعدها في قتيبة اذا انتخروا ان الحديث شجون

قال ابن قتيبة في كتاب تفضيل العرب : واما اهل التسوية فان منهم قوماً اخذوا
 بظاهر بعض الكتاب والحديث ففقدوا به ولم يفتشوا عن معناه فذهبوا الى قوله عن
 وجل : ان اكرمكم عند الله الفاكم وقوله : انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم .

والى قول النبي عليه الصلاة والسلام في خطبته في حجة الوداع ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء ليس لعربي على عجمي نخر الا بالتقوى كلكم لآدم وادم من تراب . وقوله المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وانما المعنى في هذا ان الناس كلهم من المؤمنين سواء في طريق الاحكام والمنزلة عند الله عز وجل والدار الآخرة لو كان الناس كلهم سواء في امور الدنيا ليس لاحد فضل الا امر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا اناكم كريمة قوم فأكرموا وقوله صلى الله عليه وسلم اقبلوا ذوي الربيثات عثراتهم وقوله صلى الله عليه وسلم في قيس بن عاصم هذا سيد الوبر . وكانت العرب تقول لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساوا هلكوا . تقول لا يزالون بخير ما كان فيهم اشراف واخيار فاذا حملوا كلهم جملة واحدة هلكوا او اذا ذمت العرب قوماً قالوا : سواسية كاستنان الحمار وكيف يستوي الناس في فضائلهم والرجل الواحد لا تستوي في نفسه اعضاؤه ولا تتكافأ مفاصله ولكن لبعضها الفضل على بعض والرأس الفضل على جميع البدن بالعقل والحواس الخمس وقالوا القلب امير الجسد ومن الاعضاء خادمة ومنها مخدومة

قال ابن قتيبة : ومن اعظم ما ادعت الشعرية نفخهم على العرب بآدم عليه السلام وبقول النبي عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني عليه فانما انا حسنة من حسناته ثم نفخهم بالانبياء اجمعين وانهم من العجم غير اربعة هود وصالح واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ثم نفخوا بالحق بن ابراهيم وانه لسارة وان اسماعيل لامة تسمى هاجر قال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكن بها طبياً ولا خباء ولا عك وهمدان
ولا لجرم ولا نهد بها وطن لكنها لبني الاحرار اوطان
ارض تبنى بها كسرى مساكنه فما بها من بني الخفاء انسان

فبنو الاحرار عندهم العجم وبنو الخفاء عندهم العرب لانهم من ولد هاجر وهي امة وقد غلطوا في هذا التأويل وليس كل امة يقال لها الخفاء من الاماء المهتنة في رعي الابل وسقيها وجمع الخطب وانما اخذ من اللحن وهو تن الرمح يقال ثلث السقاء اذا

غير ربحه فاما مثل هاجر التي طهرها الله من كل دنس وارتضاها للخليل فراشا
واللطيبين اسماعيل ومحمد اما وجعلها سلاله فهل يجوز الخد فضلا عن مسلم ان يسميها
الخناء

قال بعض من يرى رأي الشعوبية فيما يرد به على ابن قتيبة سيفه تباين الناس
تفاضلهم والسيد منهم والمسرود انا نحن لا نذكر تباين الناس ولا تفاضلهم ولا السيد
بنهم والمسرود والشريف والمشروف ولكننا نزع ان تفاضل الناس فيما بينهم ليس باثمهم
ولا باحسابهم ولكنه بافعالهم واخلاقهم وشرف انفسهم وبعد همهم الا ترى انه من
كان دفي الممة ساقط المروءة لم يشرف وان كان من بني هاشم في ذواتها ومن امية
بأرومتها ومن قيس في اشرف بطن منها انما الكرم من كرمت افعاله والشريف من
سرفت سمته وهو معنى حديث النبي عليه الصلاة والسلام اذا اتاكم كرم قوم فاكرموا
بقوله في قيس بن عاصم هذا سيد اهل الوبر انما قال فيه لسودده في قومه بالذب عن
حريمهم وبذله رفقده لم الا ترى ان عامر بن الطفيل كان سيفه اشرف بطان في
بس يقول :

واني وان كنت ابن سيد عامر وفارسها المشهور في كل مركب
فما سودتني عامر عن وراثته ابي الله ان اسمو بام ولا أب
ولكنني احب حماها واني اذاها وأرمني من رماها بنبك
وقال آخر :

انا وان كرمت اوائلنا لسنا على الاحساب نشكل
فبني كما كانت اوائلنا تبني وتفعل مثل ما فعلوا

وقال قس بن ساعدة لا قضين بين العرب بقضية لم يقض بها احد قبلي ولا
بها احد بعدي ايا رجل رمى رجلا بلامه دونها كرم فلا لوم عليه وايا رجل ادعى
زما دونه لوم فلا كرم له . ومثله قول عائشة ام المؤمنين كل كرم دونه لوم فاللوم
لي به وكل لوم دونه كرم فالكرم اولى به . تعني بقولها ان اولى الاشياء بالانسان
يبائع نفسه وخصلها فاذا كرمت فلا يضره لوم اوليته وان لو تمت فلا ينفعه كرم اوليته
قال الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما * وعلمه اكر والافداما * وجعلته ملكا هاما

وقال آخر :

مالي عقلي وهمتي حبي ما انا مولى ولا انا عربي

ان انتي منتم الى احد فاني منتم الى ادبي

روى ابو العيناه الهاشمي عن الفخذي عن شبيب بن شبة قال كنا وقوفاً بالمريد موضع بالبصرة وكان المريد مألف الاشراف اذ اقبل ابن المقفع فبششنا به وبدأناه بالسلام فرد علينا السلام ثم قال : لو ملتم الى دار نيروز وظلها الظليل وسورها المديد ونسيها العجيب فعودتم ابدانكم تمهيد الارض وارحتم دوابكم من جهد الثقل فان الذي تطلبونه لم تقاتلوه ومعا قضى الله لكم من شيء تناولوه . فقبلنا وملنا فلما استقر بنا المكان قال لنا : اي الام اعقل فنظر بعضنا الى بعض فقلنا : لعله اراد اصله من فارس فقلنا : فارس فقال : ليسوا بذلك انهم ملكوا كثيراً من الارض ووجدوا عظيمًا من الملك وغلبوا على كثير من الحق ولبت فيهم عقد الامر فما استبطوا شيئاً يعقولهم ولا ابتدعوا باقي حكم في نفوسهم قلنا : فالروم قال : أصحاب صنعة قلنا : فالصين قال أصحاب طرفة قلنا فالهند قال أصحاب فلسفة قلنا السودان قال : شر خلق الله قلنا : الحزر قال : بقر سائمة قلنا : فقل قال : العرب قال : فضحكنا قال : اما اني ما اردت موافقتكم ولكن اذ فاني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت علي غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت أصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته وبتفضل بجهوده وبشارك سيفه ميسوره ومعسوره ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة وينعله فيصير حجة ويحسن ما شاء فيحسن وبقبح ما شاء فيقبح ادبتهم انفسهم ورفعتهم همهم واعلتهم قلوبهم والسنتهم فلم يزل حياه الله فيهم وحياتهم في انفسهم حتى رفع لهم الفخر وبلغ بهم اشرف الذكر وختم لهم بملكهم الدنيا على الدمر وافتتح دينه وخلافته بهم الى الحشر على الخير فيهم ولهم فقال سبحانه ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فمن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خسر ودفع الحق الى اللسان اكبت للجنان اه

اما عناية الاسلام باسقاط الجنسية قداره ماثلاً من حسن معاملتهم للموالي فقد (١) ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مونة زبدًا مولاه وقال ان قتل فلاميركم

جعفر وامر رسول الله أسامة بن زيد قبله ان قومًا قد طعنوا في امارته وكان امره على جيش فيه جلة المهاجرين والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم سيفي امارته لقد طعنتم في اماره ابيه قبله ولقد كان لها اهلاً وان أسامة لها لاهل . وقالت عائشة لو كان زيد حياً ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لايه : لم فضلت أسامة عليّ وانا وهو سيان فقال : كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكانت احب الى رسول الله منك اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ازواجه لثيعة عن أسامة اذى من مخاض اولعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوماً ولم يكن أسامة من اجل الناس لو كنت جارية لخطبتك وحليتك حتى يرغب الرجال فيك وفي بعض الحديث انه قال أسامة من احب الناس اليّ . وكان صلى الله عليه وسلم ادى الى بني قريظة مكانه سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علي بن ابي طالب عليه السلام سلمان منا اهل البيت ويروى ان المهدي نظر اليه وهدمارة بن حمزة في يده فقال له رجل : من هذا يا امير المؤمنين فقال : اخي وابن عمي عماره بن حمزة فلما ولي الرجل ذكر ذلك المهدي كالمنازع لعمارة فقال له عماره انتظرت انه يقول : ومولاي فانفض والله يدك من يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفأة العرب

زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردبن منازعة وبين يدي مسمع مولى له له بهاء ورواء ولسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينارعه ويجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه اليّ مولى مثل هذا واوماً الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا غاضاً لما يكره وجهت اليه واوماً الى مولاة فعجب اهل المجلس من وضعه مولاة ذلك الموضع الذي تباها بمثل العرب وقد قيل الرجل لايه والمولى من مواليه . وفي بعض الاحاديث ان المعتق من فضل مينة المعتق . ويروى ان سلمان اخذ من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر من تمر الصدقة فوضعها في فيه فانزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا ابا عبد الله انما يحمل لك من هذا ما يحمل لنا . ويروى ان رجلاً من موالى بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هذاب المازني وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم فاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له في هدم

داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قطع من سطحه سافاً كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وسأربك العفو وقد كان في قریش من فيه جفوة ونبوة

كان نافع بن جبير أحد بني نوفل بن عبد مناف إذا مر عليه بالجنائز سأل عنها فإن قيل قرشي قال واقوماء وإن قيل عربي قال واماداته وإن قيل مولى أو عجمي قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت . ويروى إن ناسكاً من بني الحميم بن عمرو بن تميم كان يتول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة والموالي عامة فلما العجم فهم عبيدك والامر اليك

ومثل ذلك ما كان بعضهم يقولونه لا يقطع الصلاة الا ثلاثة حمار او كلب او مولد، وكانوا لا يكتونهم بالكنى ولا بدعونهم الا بالاسماء والالقب ولا يمشون سيفه النصف معهم ولا يتقدمونهم في الموكب وإن حضروا ملعماً قلموا على رؤوسهم وإن اطعموا المولى لسته وقضله وعلمه اجلسوه في طريق الخبار لئلا يخفى على الناظر انه ليس من العرب ولا بدعونهم يصلون على الجنائز إذا حضر أحد من العرب وإن كان الذي يحضر عزيراً وكان الخاطب لا يخاطب المرأة منهم الى ابيها ولا الى اخيها وإنما يخاطبها الى مواليتها فإن رضي زوج والا رد فإن زوج الاب والاخ بغير رأسيه موالية فسخ النكاح وإن كان قد دخل بها كان سفاحاً غير نكاح

وذكر عمرو بن بحر الجاحظ في كتاب الموالى والعرب أن الحجاج لما خرج عليه ابن الاشعث وعبد الله بن الجارود ولقي مائتي من قراء اهل العراق وكان أكثر من قائله وخلعه وخرج عليه الفقهاء والمثاقلة والموالى من اهل البصرة فلما علم انهم الجمهور الاكبر والسواد الاعظم احب ان يسقط ديوانهم ويفرق جماعتهم حتى لا يتألفوا ولا يمتدقوا فاقبل على الموالى وقال انتم علوج وعجم وفراؤكم اولى بكم ففرقهم وفرض جمعهم كيف احب وصيرهم كيف شاء ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجه اليها وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل بن لجين يقال له حراش وقال شاعرهم

وانت من نفس العجلى راحتته وفر شيخك حتى عاد بالحكم

يريد الحكم بن ايوب التميمي عامل الحجاج على البصرة

ولقد اورد ابن بسام في التسمية سيف ترجمة الاديب ابى جعفر احمد الدودين

البليسي رسالة ابن غرسية يخاطب بها ابا جعفر بن الجزار في فضل الشعوبية وضم
العرب ابتدأها بقوله

يا ابن الاغارب ما علينا باس لم نجتك الا ما حكاك الناس

وقال :

ولم اشتهم لكم حسبا ولكن حدود بحيث يستمع الحداء
وقال فيها في وصف المعجم

هم ملكوا شرق البلاد وغربها وهم منحوكم بعد ذلك سوذدا

حلم وعلم ذوو الآراء الفلسفية الارضية والعلوم المنطقية الرياضية حملة
الاسترلوميكا والجومطر بقا والعلما بالارتمايكا والانولوطيكا والقومة بالموسيقى والطوييكا
والنهضة بعلوم الشرائع والطبائع والنفرة في علوم الاديان والابدان ماشئت من
تحقيق وترقيق حبسو انفسهم على العلوم الدينية والبدنية لآتلى وصف النافقة العدنية فعلمهم
ليس بالسفاف كفعل نائلة واساف اصغر بشأنكم اذ يزق خمر باع الكعبة ابو غسانكم
واذ ابو رغانكم قاد فيل الحبشة الى حرم الله لاستئصالكم

والرسالة كلها على هذا النسق استغرقت مع الردود عليها سبع عشرة ورقة من
الدخيرة ولولا غلبة التعريف الكثير عليها لاوردناها برمتها وقد رد عليها كثيرون من
ادباء الاندلس في عصر كاتبها ومن جملتهم المخاطب بها ابو جعفر وردودهم كلها الى
الفاهة والبذاء اقرب وكتابة ابن غرسية متن وحججه اوضح .

وكاننا نود ان نشبع الكلام على الشعوبية اكثر مما اشبعناه واكتفينا الآف
بما لدينا من النقول الصحيحة ولعل احد مؤازرينا يكتب في هذا الموضوع ليحلوه اكثر
مما جلوناه وفوق كل ذي علم عليم

